سيادة فاطمة رضي الله عنها بنت رسول الله ﷺ
"دراسةٌ تحليليةٌ"

د. ميساء علي روابدة*

تاريخ وصول البحث: ٢٠٢٣/٣/٤م تاريخ قبول البحث: ٢٠٢٣/٦/١٥م

الملخص

تشكل دراسة الأحاديث المتعلقة بآل بيت النبي ﷺ منعطفًا خطيرًا ومعتركًا صعبًا؛ وذلك بسبب كثرة التجاذبات وتعدد وجهات النظر بين غالٍ فيهم وجافٍ عنهم في تقرير المعاني التي تحملها تلك النصوص.

وقد وصفت عدد من الأحاديث الصحيحة الصريحة أفرادًا من آل بيت النبوة بـ "السيادة"، خاصة السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ، وكان لوصفها بـ"السيادة" مدخل لتبادل الآراء والمواقف.

ويأتي هذا البحث ليخص "سيادة فاطمة" بنت رسول الله ﷺ بالتحقيق والاستقصاء والتتبع لتقرير أسباب سيادتها رضي الله عنها، وتفوقها على غيرها من النساء السيدات، ومقتضيات ذلك، ويعرض لأهم الأحكام والمقتضيات المتعلقة بـ"السيادة" الزهراء رضي الله عنها بمنهج يبتعد عن الإفراط كما فعلت بعض الطوائف من الشيعة؛ حيث رفعوها إلى مكانة أعلى من البشرية، ومن التفريط كما فعل بعض النواصب في إنكار حقها ومكانتها، ويقترب من الموضوعية والحيادية والاعتدال كما هو معمول به عند المنصفين من أهل السنة.

الكلمات المفتاحية: سيادة، فاطمة، دراسة، تحليلية.

* أستاذ مشارك، كلية الأميرة عالية الجامعية، جامعة البلقاء التطبيقية.

Fatima's Supremacy, the Daughter of the Prophet Muhammad PBUH

An Analytical Study

Dr. Maysa Ali Ahmed Rawabdeh

Abstract

The study of hadiths related to the kin of the Prophet Muhammad (**PBUH)** constitutes a dangerous turning point and a difficult field. This is due to a large number of the possible meanings of those texts that are adopted between those who love the kin of the Prophet and those who hate them.

A number of authentic and explicit hadiths described members of the Prophet's kin as "supremacy," especially Mrs. Fatimah al-Zahra, daughter of the Prophet Muhammad pbuh, and describing her as "supremacy" was an entry point for exchanging opinions and attitudes.

This study comes to single out "His Excellency Fatima", the daughter of the Prophet Muhammad **PBUH**, with the investigation, examination, and tracking to determine the reasons for her supremacy, may God be pleased with her, and her superiority over other women. And a study of the consequences of her " supremacy", and presents the most important legal rulings related to " supremacy " Al-Zahraa, With an approach that avoids excess, as some sects of Shiites did; where they raised her to a higher position than humanity, and from negligence, as some of the Nasibis did in denying her right and status; and approaching objectivity, impartiality, and moderation, as is the practice of the fair-minded Sunnis.

Keywords: Supremacy, Fatimah, Study, Analytical.

المقدمة:

لا شك أن "السيادة" منزلة من منازل السؤدد والمجد، ورتبة من رتب الشرف والفضل التي اقتضتها إرادة الله ﷻ الكونية والشرعية؛ ولذلك جاءت النصوص الشرعية بذكرها.

والسيادة المطلقة والكاملة مما اختص الله تعالى بها وحده، وأما سيادة من دونه من البشر فهي سيادة نسبية على اختلاف مراتبها وتعدد درجاتها وتنوع اعتباراتها، وقد مضتْ سنةُ الله الكونية، واقتضت حكمته الشرعية أن يَفْضُل الخلقُ بعضهم بعضًا؛ إذِ الله أعلم حيث يجعل رسالته. قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ [الأنعام: ١٦٥].

وقد فضل الله من البشر الأنبياءَ، وفضل من الأنبياء أولي العزم، وفضل منهم سيد ولد آدم رسولَنا محمدًا ﷺ، كما خصَّ الله من آل بيت النبوة ذريتَه؛ وخص من هذه الذرية الطاهرة السيدة البتول فاطمةَ الزهراء رضي الله عنها الصابرةِ، المحتسبةِ، النقيةِ، التقيةِ أم أبيها[1]... إذ حباها الله بخصائص وسمات قل امرأة حازتها، وكذلك بما أثنى عليها أبوها رسول الله ﷺ، بجميل الفضائل وعظيم المناقب وقد حملت تلك النصوص الثابتة في حقها معاني ودلالات عززت مكانتها وسيادتها.

مشكلة الدراسة:

ضمن هذا الطرح تأتي مشكلة الدراسة التي تبحث في **"السيادة"** المختصة بأهل بيت النبي عليهم السلام، وتحديدًا بالسيدة الزهراء عليها السلام باعتبار أحكامها ومقتضياتها وأسبابها، ويمكن صياغة مشكلة الدراسة بالأسئلة الآتية:

١.ما الأحاديث الواردة في سيادة النساء؟

٢.ما أبرز أسباب سيادة فاطمة بنت رسول الله ﷺ؟

٣.ما المقتضيات التي تتبع سيادة فاطمة بنت رسول الله ﷺ؟

أهمية الدراسة:

١.تظهر أهمية هذه الدراسة من كونها تبين أهم المعاني والدلالات لمفهوم "السيادة" وما يترتب عليه من اللوازم والمقتضيات الشرعية.

٢.تبين حدود العلاقة والتقاطع بين مفهوم "السيادة" والمفاهيم الأخرى كمفهوم الفضل، والكمال، والخيرية.

٣.تظهر أحقية الموصوفين بـ"السيادة" ممن ثبت لهم وصف "السيادة" بالأخبار الصحيحة.

أهداف الدراسة:

١.تهدف إلى عقد مقارنة بين النساء الموصوفات بالسيادة والكمال.

٢.تسعى إلى عرض الأسباب التي استحقت لأجلها السيدة فاطمة السيادة على نساء العالمين.

٣.تبين أهم النتائج والمقتضيات المترتبة على سيادة فاطمة بنت رسول الله ﷺ.

الدراسات السابقة:

لم أجد في حدود اطلاعي بحثًا أو كتابًا دراسةً علمية تناولت موضوع (الأحاديث الواردة في النساء السيدات) فضلًا عن تناوله "سيادة فاطمة رضي الله عنها بنت رسول الله ﷺ" بالتحليل والمناقشة... غير أنه قد تم تناولت كثير من الكتابات والمقالات جوانب مختلفة من شخصية فاطمة.

وأقرب ما يمكن إدراجه ضمن "الدراسات السابقة" ما كتبته الشيخة الأديبة د. عائشة بنت الشاطئ بعنوان: "**تراجم سيدات بيت النبوة**"، دار الريان، ط١، ١٩٨٧م، والكتاب مقسم إلى خمسة كتب كل كتاب يحكي عن شخصية أو أكثر من نساء أهل البيت، وذكرت في الكتاب الثالث: بنات النبي، وتحدثت فيه عن فاطمة بأسلوب أدبي سردي قصصي، تناولت من خلاله جوانب عامة من شخصية فاطمة وأخواتها.

وما كتبه العلامة المناوي بعنوان: **"إتحاف السائل بما لفاطمة من المناقب والفضائل"**[٢]، تحقيق: عبداللطيف عاشور، مكتبة الفرقان، ١٩٨٧، والكتاب عبارة عن أحاديث وأخبار وآثار رويت في شأن السيدة فاطمة بأسلوب تاريخي بدءًا من ولادتها مرورًا بزواجها وما ورد في مناقبها وفضائلها.

وما كتبه الأستاذ إبراهيم بن عبدالله المديهش بعنوان " **فاطمة بنت النبي ﷺ سيرتها، فضائلها، مسندها - رضي الله عنها -**"، دار الآل والصحب الوقفية، الرياض،ط١، ١٤٤٠هـ، والكتاب من أجمع ما كتب في سيرة السيدة فاطمة رضي الله عنها، وما جاء في فضلها ومكانتها؛ وله مزيد تميز بسبب ما قام به من تتبع كل ما ورد في السيدة فاطمة رضي الله عنها من مرويات وأخبار وكتابات، ثم نقدها غير أنه لم يتعرض لمصطلح السيادة في حقها.

وأما هذه الدراسة فإنها تتناول النساء السيدات بمنهج المقارنة، ثم تعرض لمفهوم السيادة المتعلقة بفاطمة رضي الله عنها وما يترتب عليه من أحكام ومسائل، وتبحث في الأسباب التي قادت إلى تميز فاطمة عن بقية النساء، ثم تبين مقتضيات سيادة فاطمة رضي الله عنها.

منهجية البحث:

تقوم منهجية هذه الدراسة على استخدام:

١.**المنهج التحليلي:** من خلال تحليل جميع الآثار والأخبار الواردة في شأن فاطمة مما يتعلق بموضوع سيادتها.

٢.**المنهج المقارن:** من خلال عقد موازنة بين سيادة فاطمة الزهراء رضي الله عنها وسيادة النساء الأخريات ممن جاء في شأنهن وصف السيادة.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة هذه الدراسة أن يأتي البحث على مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة على النحو الآتي:

المقدمة: وتتضمن التعريف بالموضوع، ومشكلة الدراسة، وأهميتها، وأهدافها، والدراسات السابقة، ومنهجيتها، وخطتها.

أما المبحث الأول: فالسيادة، والنساء السيدات في الأحاديث النبوية:

المطلب الأول: مفهوم السيادة.

المطلب الثاني: مستويات المفاضلة بين النساء السيدات.

المطلب الثالث: مراتب السيادة المضافة لفاطمة بنت رسول الله.

المبحث الثاني: أسباب سيادة فاطمة بنت رسول الله:

المطلب الأول: سيادة فاطمة رضي الله عنها بسبب سيادة أصلها.

المطلب الثاني: سيادة فاطمة رضي الله عنها بسبب سيادة فرعها.

المطلب الثالث: سيادة فاطمة رضي الله عنها بسبب كمالها.

المبحث الثالث: مقتضيات سيادة فاطمة بنت رسول الله:

المطلب الأول: حرمة فعل ما يؤذيها.

المطلب الثاني: منع التزوج عليها.

المطلب الثالث: ضرب المثل بها لتقرير الأحكام.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج.

المبحث الأول: السيادة والنساء السيدات في الأحاديث النبوية:

وردت أحاديث تضيف لفظ "السيادة" إلى عدد من النساء الفضليات مع تفاوت بينهن من جهة الزمان، أو جهة درجة القرابة، أو من جهة الخصائص والمميزات التي تضاف لكل واحدة منهن. وفي تقديم بعضهن على بعض أخذ ورد سيتم تناوله في المطالب الآتية.

المطلب الأول: مفهوم السيادة لغة واصطلاحًا.

السيادة لغةً: "من الفعل ساد: يسود سيادة وسودًا، والسؤدد المجد وَالشرف، فهو سيد، والأنثى سيدة.

والسيد: من اجتمع عليه قومه وجعلوا أمرهم إليه للخير الذي فيه، وقال قوم: السيد: الحليم. وأنكر ناس أن يكون هذا من الحلم، وقالوا: إنما سمي سيدًا؛ لأن الناس يلتجئون إلى سواده. ويقال فلان أسود من فلان، أي أعلى سيادة منه"، و"قال ابن سيده: السيد هو: الرئيس. وقال عكرمة: السيد الذي لا يغلبه غضبه، وقال ابن شميل: السيد: الذي فاق غيره بالعقل والمال، والدفع والنفع، المعطي ماله في حقوقه، المعين بنفسه. وقيل السيد: الكريم السخي، وقال قتادة: هو العابد، الورع، الحليم"[٣].

والسيادة اصطلاحًا:

تدور معاني السيادة -في اللغة والاصطلاح- على علو في المكانة، وسمو في المجد، وتفوق في الرتبة، وشرف في المنصب، وشموخ في المنزلة، وغلبة في الأمر، وسداد في الرأي... فهو المقدم على غيره مطلقًا. فالسيد: "نجب الرِّجَال وعيونهم وأعلامهم ونجومهم وجلتهم وأعظمهم وعميدهم وقريعهم وَمن أفاضلهم وخيرتهم وزعيمهم وأئمتهم وَقَادَتهمْ وبسلهم وأبطالهم ومذكورهم"[٤].

المطلب الثاني: مستويات المفاضلة بين النساء السيدات:

يمكن حصر أهم الأقوال في المفاضلة بين النساء السيدات بين فاطمة بنت رسول الله ﷺ وبين غيرها من النساء، على النحو الآتي:

أولًا: المفاضلة بين فاطمة وبين أخواتها رضي الله عنهن:

ذهب جماعة من العلماء إلى القول بأفضلية فاطمة على بقية أخواتها، استدلالًا بعدة أمور اختصت بها رضي الله عنها دون أخواتها، منها: حديث البَضعة[٥]، ووصفها بسيدة نساء العالمين، وانحصار ذرّية النبيّ ﷺ بها وبولدها،

واحتسابها وصبرها على رزئها بأبيها، وحرمة الزواج عليها، وما وهبها الله من الفضائل والكمالات.

قال الحافظ ابن حجر: "إنّها أفضل من بقيّة أخواتها، لأنّها ذرّية المصطفى ﷺ دون غيرها من بناته، فإنّهنّ متن في حياته فكنّ في صحيفته، ومات هو ﷺ في حياتها فكان في صحيفتها، وكنت أقول ذلك استنباطًا إلى أن وجدته منصوصًا"[٦] ثم ذكر حديث إسرار النبي ﷺ لفاطمة بدنو أجله ووصيته لها بالصبر والاحتساب.

وقال ابن القيم: "وكل أولاده توفي قبله إلا فاطمة فإنها تأخرت بعده بستة أشهر فرفع الله لها بصبرها واحتسابها من الدرجات ما فضلت به على نساء العالمين، وفاطمة أفضل بناته على الإطلاق"[٧]، وقد تابعهما المناويّ على هذا القول واستدل لذلك بحديث البَضعة الذي اختصت به فاطمة دون أخواتها[٨].

ثانيا: المفاضلة بين فاطمة رضي الله عنها وبين مريم عليها السلام:

لقد تهيأ لمريم البتول من الكمالات ومراتب الشرف ما لم يتهيأ لكثير من نساء الدنيا فقد وصفت بالكمال[٩] والخيرية[١٠] والسيادة[١١]... إلا أن فاطمة الزهراء عليها السلام كانت تفوقها في ذلك، بل زادت عليها من عدة جهات:

منها: أن تفضيل السيدة مريم جاء في أول الأمر؛ فاصطفاؤها ورد في سورة آل عمران وهذه السورة مكية. وأما تفضيل السيدة فاطمة فقد كان آخر الأمر في حياة النبي ﷺ في المدينة.

ومنها: أن تفضيل السيدة مريم جاء خاصة في عالمها. وأما تفضيل السيدة فاطمة فقد كان على جميع الأزمنة والعوالم.

ومنها: أن تفضيل السيدة مريم جاء من جهة القول بأنها نبية، والصحيح أنها ليست كذلك. وأما تفضيل السيدة فاطمة فقد جاء من كونها البَضْعة التي من رسول الله ﷺ.

ومنها: أن تفضيل السيدة مريم جاء بالنسبة لأمة بني إسرائيل. وأما تفضيل السيدة فاطمة فقد جاء بالنسبة لأفضل الأمم وأخيرها وهي أمة محمد ﷺ.

ومنها: أن تفضيل السيدة مريم جاء من جهة اعتبار فرعها المسيح ابن مريم. وأما تفضيل السيدة فاطمة فقد جاء من جهة سيادة أصلها، من جهة الأب والأم، وسيادة فرعها، من جهة أبنائها فابناها سيدا شباب أهل الجنة. وبما وصفت به من أوصاف السيادة في الدنيا والآخرة؛ حتى قال الألوسي : "فاطمة البتول أفضل النساء المتقدمات والمتأخرات؛ من حيث إنها بضعة رسول الله ﷺ"[١٢].

وأما حديث عليّ رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «خَيْرُ نِسَائِهَا مَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ»[١٣]، فقيل: إن هذا التفضيل الذي في الحديث خاص بعالمهن فقط، أي زمن مريم عليها السلام وآسية، لذلك لم تذكر فاطمة معهن"[١٤]. قال الحافظ: قوله "خير نسائها مريم" أي نساء أهل الدنيا في زمانها وليس المراد أن مريم خير نسائها؛ لأنه يصير كقولهم: زيد أفضل إخوانه وقد صرحوا بمنعه، فهو كما لو قيل فلان أفضل الدنيا[١٥]، وقال أيضًا: "قد جزم كثير من الشراح أن المراد نساء زمانها لما تقدم في أحاديث الأنبياء في قصة موسى وذكر آسية من حديث أبي موسى رفعه: "كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم وآسية[١٦]"، فقد أثبت في هذا الحديث الكمال لآسية كما أثبته لمريم فامتنع حمل الخيرية في حديث الباب على الإطلاق" ، وجاء ما يفسر المراد صريحًا فروى البزار[١٧] والطبراني[١٨] من حديث عمار بن ياسر رفعه[١٩] : "لقد فضلت خديجة على نساء أمتي كما فضلت مريم على نساء العالمين"، وقال النووي : الأظهر أن معناه أن كل واحدة منهما خير نساء الأرض في عصرها[٢٠].

وقد ذهب كثير من العلماء: "كالتقي السبكي[٢١]، والجلال السيوطي[٢٢]، والبدر الزركشي[٢٣] والتقي المقريزي[٢٤]، والسهيلي[٢٥] وابن حجر[٢٦]، والآلوسي[٢٧] إلى أن فاطمة بنت رسول الله ﷺ أفضل نساء الدنيا، بما فيهن السيدة مريم ابنة عمران،

وعبارة السبكي حين سئل عن ذلك، فقال: "الذي تختاره أن فاطمة بنت محمد ﷺ أفضل"[٢٨].

ثالثا: المفاضلة بين فاطمة وبين خديجة رضي الله عنهما:

قال تقي الدين السبكي: "الذي نختاره وندين الله به أنّ فاطمة أفضل ثمّ خديجة"[٢٩]، هكذا بتَّ السبكي الحكم في أفضلية فاطمة على أمها عليهما السلام؛ وذلك أن كل دليل ورد في فضل خديجة رضي الله عنها فإنه مقيد بالنصوص الصحيحة الصريحة والمشهورة القاضية بأفضلية فاطمة رضي الله عنها على غيرها، ويحمل الفضل الوارد في حق خديجة رضي الله عنها على فاطمة من جهة كونها أمًا لها والعنصر الذي صدرت عنه فاطمة[٣٠].

وعلى فرض أفضلية خديجة على فاطمة رضي الله عنهما إلا أن سيادة فاطمة وعلو مرتبتها لا تبلغها امرأة، ولذلك ذهب ابن حزم إلى أن لفظ: "سيدات أهل الجنة" نصٌ في إثبات السيادة، والسيادة تكون بالنسب والسبب، ولكن لا يلزم لإثبات السيادة على الغير ثبوت الفضل عليه، فقد يُسود المرء على من هو أفضل منه لمتعلقات أخرى، وقال: "والسيادة من بَاب الشّرف لَا من بَاب الْفضل، ولا شك أن فاطمة رضي الله عنها سيدة نساء العالمين بولادة النبي ﷺ لها، فَلَا تعَارض بَين الحَدِيث الْبَتَّةَ وَالْحَمْد لله رب الْعَالمين"[٣١].

رابعا: المفاضلة بين فاطمة وبين عائشة رضي الله عنهما:

قال ابن القيم في معرض المفاضلة بين أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وبين فاطمة البتول، قال: "الخلاف في كون عائشة أفضل من فاطمة أو فاطمة أفضل، إذا حرر محل التفضيل، صار وفاقًا. فالتفضيل بدون التفصيل لا يستقيم... وإن أريد بالتفضيل شرف الأصل وجلالة النسب فلا ريب أن فاطمة أفضل؛ فإنها بضعة من النبي ﷺ، وذلك اختصاص لم يشركها فيه غير أخواتها. وإن أريد السيادة: ففاطمة سيدة نساء الأمة"[٣٢].

وأمّا قول ابن القيّم: إن أريد بالتفضيل كثرة الثواب عند الله، فذلك أمر لا يطّلع عليه ، فإنّ عمل القلوب أفضل من عمل الجوارح. وإن أريد كثرة العلم فعائشة"[٣٣]، "هذا الكلام وإن كان في حدّ نفسه صحيحًا، إلّا أنّه في هذا المقام وفي أمثاله ليس صحيحًا، وذلك لأنّ الشارع المقدّس كشف لنا أنّ فاطمة أكثر الناس ثوابًا بقوله: "إنّ فاطمة سيدة نساء أهل الجنّة"، فهي أفضل نساء أهل الجنّة، ولازمه أنّها الأفضل من حيث كثرة الثواب، بل من حيث الكمالات، بل ليس هناك من هو أكثر ثوابًا وكمالًا منها، لأنّ التفاضل في الآخرة في الجنّة ودرجاتها إنّما هو بكثرة الثواب والعمل الصالح والاعتقادات الحقّة، ولو لم تكن هي الأكثر والأوفر والأفضل لما وصفها الشارع بأنّها سيدة نساء أهل الجنّة، ولوصف غيرها بذلك، فلمّا لم يصف غيرها، علمنا بحكم الشارع أنّها أكثر الناس ثوابًا، وأكثرهم عملًا صالحًا وهذا الكلام ينطبق على العلم أيضًا، باعتبار أنّ العلم كمال من الكمالات، فهي سيدة النساء من هذه الجهة أيضًا، وهكذا بقية الكمالات"[٣٤].

قال القاضي عياض في قوله ﷺ: "فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَام"[٣٥]: ليس فيه ما يشعر بتفضيلها على فاطمة؛ إذ قد يكون تمثيل تفضيل فاطمة لو مثلها مما هو أرفع من هذا، وبالجملة أن عائشة مفضلة على النساء تفضيلًا كثيرًا وليس فيه عموم جميع النساء. وقوله ﷺ: "فاطمة سيدة نساء أهل الجنة" أعم وأظهر في التفضيل"[٣٦].

وقال السيوطي -في معرض الجواب عن سؤال في عائشة وفاطمة أيهما أفضل-: "فيه ثلاثة مذاهب، أصحها أن فاطمة رضي الله عنها أفضل"[٣٧].

وقال الزركشي: "ويستثنى من الخلاف سيدتنا فاطمة، فهي أفضل نساء العالم؛ لقوله ﷺ: "فاطمة بضعة منّي"، ولا يعدل ببضعة رسول الله ﷺ أحد"[٣٨].

قال السبكي: "الّذي نختاره وندين الله به: أنّ فاطمة أفضل، ثمّ خديجة، ثمّ عائشة. قال: ولم يخف عنّا الخلاف في ذلك، ولكن إذا جاء نهر الله بطل نهر

معقل"[٣٩]، قال ابن حجر الهيتمي: ولوضوح ما قاله السبكي، تبعه عليه المحقّقون"[٤٠].

وأما حديث عمرو بن العاص لما سأل النبي ﷺ: «أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ فقال ﷺ: عَائِشَةُ» فقد بين ابن حبان على أنه مقيد في التفضيل بين نسائه خاصة؛ ولذلك بوب عليه فقال: ذكر خبر وهم في تأويله من لم يحكم صناعة الحديث[٤١]، ثم ساق حديث عمرو بلفظ: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: عَائِشَةُ، فَقُلْتُ: إِنِّي لَسْتُ أَعْنِي النِّسَاءَ إِنَّمَا أَعْنَى الرِّجَالَ، فَقَالَ: أَبُو بَكْرٍ، أَوْ قَالَ: أَبُوهَا». ثم قال: "أذكر الخبر الدال على أن مخرج هذا السؤال كان عن أهله دون سائر النساء من فاطمة وغيرها، فعن أنس قال: سئل رسول الله ﷺ: «من أحب الناس إليك؟ قال: عائشة، قيل له: ليس عن أهلك نسألك، قال: فأبوها»[٤٢]، وقال الكوراني: "الفضل من كل الوجه فيه إشكال؛ لأن فاطمة بنت رسول الله ﷺ بضعة منه"[٤٣].

وبناء على ما سبق من تحديد أفضلية فاطمة رضي الله عنها تبين أن الاعتبارات التي ترجع إليها مسألة مستويات المفاضلة بين النساء هي: اختلاف النصوص؛ حيث جاء فيها تقديم بعضهن وتأخير البقية، ومنها: اختلاف المقتضى واللوازم التي تترتب على تقديم أحداهن على الأخريات، ومنها: اختلاف السبب الذي لأجله تقدمت بعض هؤلاء النسوة على غيرها.

المطلب الثالث: مراتب السيادة المضافة لفاطمة رضي الله عنها:

تنوعت مراتب سيادة الزهراء فاطمة رضي الله عنها بدأ من وصفها بسيادة المؤمنين وصولًا إلى وصفها بسيادة أهل الجنة أجمعين، وقد رُويت في ذلك أحاديث وأخبار كثيرة حتى جعلت الشيخ أبا عبدالله الكتّاني يذكرها في كتابه: "نظم المتناثر"، ونقل عن العزيزي ما نصه: "والحق أن فاطمة لها الأحبية المطلقة ثبت

ذلك في عدة أحاديث أفاد مجموعها التواتر المعنوي، وما عداها فعلى معنى: "مَنْ" أو "اختلف الجهة"[٤٤]. وأما مراتب سيادتها فعلى النحو الآتي:

أولًا: ما ورد بلفظ: "سيدة نساء المؤمنين"

عن عَائِشَةُ أُمُّ المُؤْمِنِينَ، قَالَتْ: «إِنَّا كُنَّا أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ عِنْدَهُ جَمِيعًا، لَمْ تُغَادَرْ مِنَّا وَاحِدَةٌ، فَأَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلاَمُ تَمْشِي، لاَ وَاللَّهِ مَا تَخْفَى مِشْيَتُهَا مِنْ مِشْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا رَآهَا رَحَّبَ قَالَ: مَرْحَبًا بِابْنَتِي ثُمَّ أَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ أَوْ عَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ سَارَّهَا، فَبَكَتْ بُكَاءً شَدِيدًا، فَلَمَّا رَأَى حُزْنَهَا سَارَّهَا الثَّانِيَةَ، فَإِذَا هِيَ تَضْحَكُ، فَقُلْتُ لَهَا أَنَا مِنْ بَيْنِ نِسَائِهِ: خَصَّكِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالسِّرِّ مِنْ بَيْنِنَا، ثُمَّ أَنْتِ تَبْكِينَ، فَلَمَّا قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَأَلْتُهَا: عَمَّا سَارَّكِ؟ قَالَتْ: مَا كُنْتُ لِأُفْشِيَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سِرَّهُ، فَلَمَّا تُوُفِّيَ، قُلْتُ لَهَا: عَزَمْتُ عَلَيْكِ بِمَا لِي عَلَيْكِ مِنَ الحَقِّ لَمَّا أَخْبَرْتِنِي، قَالَتْ: أَمَّا الآنَ فَنَعَمْ، فَأَخْبَرَتْنِي، قَالَتْ: أَمَّا حِينَ سَارَّنِي فِي الأَمْرِ الأَوَّلِ، فَإِنَّهُ أَخْبَرَنِي: «أَنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُهُ بِالقُرْآنِ كُلَّ سَنَةٍ مَرَّةً، وَإِنَّهُ قَدْ عَارَضَنِي بِهِ العَامَ مَرَّتَيْنِ، وَلاَ أَرَى الأَجَلَ إِلَّا قَدِ اقْتَرَبَ، فَاتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي، فَإِنِّي نِعْمَ السَّلَفُ أَنَا لَكِ» قَالَتْ: فَبَكَيْتُ بُكَائِي الَّذِي رَأَيْتِ، فَلَمَّا رَأَى جَزَعِي سَارَّنِي الثَّانِيَةَ، قَالَ: يَا فَاطِمَةُ، أَلاَ تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ المُؤْمِنِينَ ـ أَوْ سَيِّدَةَ نِسَاءِ هَذِهِ الأُمَّةِ»[٤٥].

ثانيًا: ما ورد بلفظ: "سيدة نساء هذه الأمة"

-عن عَائِشَةُ أُمُّ المُؤْمِنِينَ، قَالَتْ: «يَا فَاطِمَةُ، أَلاَ تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ المُؤْمِنِينَ، أَوْ سَيِّدَةَ نِسَاءِ هَذِهِ الأُمَّةِ»[٤٦]

-عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: «أَبْطَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنَّا يَوْمًا صَدْرَ النَّهَارِ، فَلَمَّا كَانَ الْعَشِيُّ قَالَ لَهُ قَائِلُنَا: يَا رَسُولَ اللهِ قَدْ شَقَّ عَلَيْنَا، لَمْ نَرَكَ الْيَوْمَ قَالَ: إِنَّ مَلَكًا مِنَ السَّمَاءِ لَمْ يَكُنْ رَآنِي، فَاسْتَأْذَنَ اللهَ فِي زِيَارَتِي، فَأَخْبَرَنِي أَوْ بَشَّرَنِي أَنَّ فَاطِمَةَ ابْنَتِي سَيِّدَةُ نِسَاءِ أُمَّتِي، وَأَنَّ حَسَنًا وَحُسَيْنًا سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ»[٤٧].

ثالثًا: ما ورد بلفظ: "سيدة نساء العالمين"

عَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي مَرَضِهِ ... ثُمَّ قَالَ: يَا فَاطِمَةُ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ»(٤٨).

رابعًا: ما ورد بلفظ: "سيدة نساء أهل الجنّة"

- عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «أَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ تَمْشِي كَأَنَّ مِشْيَتَهَا مَشْيُ النَّبِيِّ ﷺ، ... فَقَالَ: أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ أَهْلِ الجَنَّةِ، أَوْ نِسَاءِ المُؤْمِنِينَ»(٤٩).

- وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَاطِمَةُ سَيِّدَةُ نِسَاءِ أَهْلِ الجَنَّةِ»(٥٠).

المبحث الثاني: أسباب سيادة فاطمة بنت رسول الله ﷺ

تجلت أسباب سيادة السيدة فاطمة عليها السلام في سيادتها التي في نبوة أصلها، والسيادة التي في بنوة فرعها، والسيادة التي في كمالها؛ حيث بلغت الذروة في أصلها، وفي فرعها، وفي ذاتها... وكيف لا يكون ذلك وقد قال أبوها عليه السلام: "فاطمة بَضْعَةٌ مني"، والبضعة: هي القطعة والجزء؛ فهي قطعةٌ من الكمال البشري المجسد بشخص رسول الله ﷺ؛ وجزءُ الكمال كمالٌ.

المطلب الأول: سيادة فاطمة -رضي الله عنها- بسبب سيادة أصلها:

لقد تهيأ لفاطمة الزهراء عليها السلام من أسباب السيادة، ومسوغات الشرف، وبواعث المجد والعلو ما لم يتهيأ لكثير من نساء الدنيا ممن كنَّ يسامينها في ذلك، بل زادت عليهن بسيادة أصلها وزعامة عنصرها من جهة الأب والأم؛ فأبوها إمام الأنبياء، وقائد المرسلين رسولنا محمد بن عبدالله عليه السلام السيدُ المطاع الذي فاق الأنبياء جميعًا فضلًا وجلالًا وكمالًا وعزًا... ومنزلة السيادة في سياق النبوة تحمل معانيَ ودلالات، من أهمها:

أولًا: كماله وجلاله وعظمته التي فاق بها جميع الأنبياء؛ فإنه سيد ولد آدم كما في حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: "«أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ» (٥١)، ولعل هذه السيادة بناء على الاصطفاء الأول الثابت في حديث واثله بن الأسقع من قول

رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ»، قال الهروي: "السيد: هو الذي يفوق قومه بالخير"(٥٢).

ثانيًا: قيامه بدفع الشدائد والنوائب في حال لا يقوم به من البشر إلا هو. وقيل: السيد: "من يفزع إليه في النوائب والشدائد، فيقوم بأمرهم ويتحمل عنهم مكارههم ويدفعها عنهم"(٥٣). وهذا المعنى "للسيادة" متجهٌ جدا ففي رواية البخاري ومسلم: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(٥٤)، فالخلق يُهْرَعون إلى الأنبياء يطلبون إليهم أن يكشف الله عنهم ما أصابهم من شدة الموقف وأن يشفعوا لهم فكلهم يدفع عن نفسه ويحيل على غيره إلا سيد ولد آدم فانه يقول: "أنا لها أنا لها"(٥٥).

ثالثًا: اختصاصه بخصائص لا يشاركه فيها أحد؛ فإن لفظ "السيادة" في الحديث جاء ضمن بعض ما خص به نبينا ﷺ؛ حيث ذكر أوليته ﷺ في انشقاق القبر عنه، وأول من يشفع، قال العز بن عبدالسلام: "والسيد: من اتصف بالصفات العلية، والأخلاق السنية. وهذا مشعر بأنه أفضل منهم في الدارين، أما في الدنيا فلما اتصف به من الأخلاق العظيمة، وأما في الآخرة فلأن الجزاء مرتب على الأخلاق والأوصاف، فإذا فضلهم في الدنيا في المناقب والصفات، فضلهم في الآخرة في المراتب والدرجات"(٥٦).

وأمها خديجة بنت خويلد سيدةٌ أيضًا وسيادتها ظاهرة كما في حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت لفاطمة رضي اللّه عنها ألا أبشرك أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: "سيدات نساء أهل الجنة أربع: مريم بنت عمران، وفاطمة بنت محمد، وخديجة بنت خويلد، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون"(٥٧).

وقال ابن حجر: "وفي معنى "البيت" في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ [الأحزاب:٣٣] "فيه معنى آخر لأن مرجع أهل بيت

النبي ﷺ إليها؛ لما ثبت في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾، قالت أم سلمة: لما نزلت دعا النبي ﷺ فاطمة وعليًا والحسن والحسين فجللهم بكساء فقال: "اللهم هؤلاء أهل بيتي"، ومرجع أهل البيت هؤلاء إلى خديجة، لأن الحسنين من فاطمة، وفاطمة بنتها، وعليّ نشأ في بيت خديجة وهو صغير ثم تزوج بنتها بعدها، فظهر رجوع أهل البيت النبوي إلى خديجة دون غيرها"(٥٨).

ولأجل هذا السبب -وهو سيادة أصلها- قدمت فاطمة على مريم البتول، وعلى خديجة الصديقة، وهذا الذي نزع إليه الإمام البخاري فيما يظهر لي من تصرفه في "الجامع الصحيح"؛ حيث أتى بلفظ: "فاطمة سيدة نساء الجنة" معلقًا في كتاب: المناقب، باب: مناقب فاطمة، ثم ساق حديثَ: "فاطمة بضعة مني"، وأعرض عن حديث: "فاطمة سيدة نساء الجنة"، أو "نساء العالمين" مع قوة تعلقه بترجمة الباب! وأراه فعل ذلك –والله أعلم– ليقول: إن سبب سيادة فاطمة سيادة أصلها وسُؤْدَد نبعتها... ولئن شارك فاطمةَ غيرُها من النسوة لا سيما الصديقةَ الكبرى خديجةَ، والعذراءَ مريمَ عليهما السلام في كونهما سيدتي نساء أهل الجنة فإن واحدة من النساء السيدات لم تشاركها بشرف الأصل وطهارة البضع؛ فإنها البَضْعةُ النبوية، وفرع الشجرة الزكية.

المطلب الثاني: سيادة فاطمة رضي الله عنها بسبب سيادة فرعها:

لقد جرى للسبطين أبي محمد الحسن، وأبي عبدالله الحسين عليهما السلام من الفضائل والمكرمات ما لهم يكن لغيرهما من الناس. وقد أكسبت سيادتُهما التي وصفهما بها جدُهما رسول الله ﷺ أمَّهما فاطمةَ الزهراء مزيدًا من شرف الرتبة، ورفعة المكانة، وألق السيادة.

فلا نجد امرأة حصل لها من السؤدد والمكانة العليا -بسبب سيادة أصلها مع سيادة فرعها- كما حصل للبتول أم السبطين عليهم السلام؛ وذلك أنه كان لفرعها من الخصائص والأوصاف ما لم يحض به أولاد امرأة من آل بيت النبوة.

وهذا الأمر عزز أسباب سيادتها على غيرها من النساء؛ وذلك أن النبي ﷺخص أولادها بالدخول في ذريته فجعل أبناء فاطمة أبناء له ولم يكن هذا الفضل لغيرهم من أهل البيت عليهم السلام؛ وذلك في قوله عليه السلام: «إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ»(٥٩). فأضاف للحسن السبط -ابن بنته- وصف البنوة؛ ولذلك قال الألوسي: "إن أشرف العرب نسبًا أولاد فاطمة رضي الله تعالى عنها لأنهم ينسبون إلى النبي ﷺ كما صرح به جمع من الفقهاء"(٦٠).

قال ابن القيم: "وَاحْتج من قَالَ بدخولهم بِأَن الْمُسلمين مجمعون على دخول أولاد فاطمة رضي الله عنها في ذرية النبي ﷺ المطلوب لهم من الله الصلاة؛ لأن أحدًا من بناته لم يعقب غيرها، فمن انتسب إليه ﷺ من أولاد ابنته فإنما هو من جهة فاطمة رضي الله عنها خاصة، ولهذا قال النبي ﷺ في الحسن ابن ابنته: «إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ» فسماه ابنه"(٦١).

وقال السخاوي: "الذرية: الأولاد، وأولادهم. وهل يدخل أولاد البنات فمذهب الشافعي ومالك وهو رواية عن أحمد أنهم يدخلون لإجماع المسلمين على دخول أولاد فاطمة في ذرية النبي ﷺ المطلوب لهم من الله الصلاة. وحكى ابن الحاجب من المالكية الاتفاق على دخول ولد البنات، قال: لأن عيسى من ذرية إبراهيم عليهما السلام. انتهى. وشاححه الشراح في نقل الاتفاق، ومذهب أبي حنيفة، ورواية عن أحمد أنهم لا يدخلون واستثنوا أولاد فاطمة عليها السلام لشرف هذا والأصل العظيم والولد الكريم الذي لا يدانيه أحدٌ من العالمين ﷺ وعليهم أجمعين" وقال: "ودخول أولاد فاطمة رضي الله عنها في ذرية النبي ﷺ فلشرف هذا الأصل العظيم

والوالد الكريم الذي لا يدانيه أحد من العالمين سرى ونفذ إلى أولاد البنات لقوته وجلالته وعظيم قدره"[٦٢].

ولأجل ذلك جعل السهيليُ مَنْ صلى على فاطمةَ عليها السلام فكأنما صلى على أبيها ﷺ؛ حيث قال: "فمن صلى على فاطمة فقد صلى على رسول الله ﷺ؛ لأن فاطمة قطعةٌ من رسول الله ﷺ"[٦٣]، وتبعًا لذلك قال الكوراني: "ومن صلى على الحسن والحسين، فقد صلى على رسول الله ﷺ؛ لأنهما قطعة من تلك البضعة"[٦٤]، قال الشريف السمهودي: "معلوم أن أولادها بَضْعةٌ منها، فيكونون بواسطتها بَضعةً منه ﷺ، وهذا غاية الشرف لأولادها"[٦٥]،

كما أن فرعها نال أعلى مراتب السيادة وهي سيادة شباب أهل الجنة، كما جاء في قوله ﷺ: «الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ» [٦٦]، وقد ذُكِرَ في المقصود من سيادتهما على شباب أهل الجنة عدة معانٍ:

منها: "ويمكن أن يراد هما الآن سيدا شباب من هم من أهل الجنة من شبان هذا الزمان، ومنها: "هما أفضل من مات شابًا في سبيل الله من أصحاب الجنة ولم يرد به سن الشباب لأنهما ماتا وقد كهلا بل ما يفعله الشباب من المروءة، كما يقال فلان فتى وإن كان شيخًا يشير إلى مروءته وفتوته، أو أنهما سيدا أهل الجنة سوى الأنبياء والخلفاء الراشدين وذلك لأن أهل الجنة كلهم في سن واحد وهو الشباب وليس فيهم شيخ ولا كهل"[٦٧].

ومنها: ما قيل: "إنهما سيد كل من مات شابا ودخل الجنة فإنهما ماتا وهما شيخان، وكل أهل الْجنَّة يكونُونَ أبناء ثلاث وثلاثين وَلَكِن لَا يلْزم كَون السَّيِّد فِيمَن يسودهم فقد يكون أكبر سنا مِنْهُم وَقد يكون أَصْغَر سنا"[٦٨].

ويضاف إلى ذلك استحقاق ولدها الحسن رابع أهل الكساء السيادة بسبب قيامه بمهمة الإصلاح؛ لأنه بمقتل أبيه انتهت مرحلة الخلافة الراشدة! وبدأت مرحلة الملك العضوض كما جاء في حديث حذيفة مرفوعًا "تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا

شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاضًّا"[٦٩]؛ لذلك كان لزامًا أن يقوم رجل المرحلة بالمهمة التي أخبر عنها الصادق المصدوق عليه السلام فكانت المهمة هي الاصلاحُ، وكان رجل المرحلة هو السبطُ، السيد، القائد، ابنُ بنت رسول الله ﷺ الحسن بن علي عليهم السلام, كما ثبت ذلك من حديث أبي بكرة أنه قال: "رأيت رسول الله ﷺ على المنبر والحسن بن علي إلى جنبه، وهو يقبل على الناس مرة وعليه أخرى ويقول: «إنَّ ابني هذا سيدٌ، ولعل اللهَ أنْ يُصْلحَ بهِ بينَ فئتينِ عظيمتينِ مِن المسلمينَ»[٧٠]، قال المهلب: "الحديث دال على أن السيادة إنما يستحقها من ينتفع به الناس لكونه علق السيادة بالإصلاح"[٧١].

ويزاد على ذلك اختصاص السبطين -مع أمهم وأبيهم- بدخولهم في آية المباهلة ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[آل عمران:٦١]، وآية أصحاب الكساء﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرا﴾ [الأحزاب:٣٣] دخولا أساسيًا؛ ولقد كان لكل ما سلف من الفضائل والمناقب أثرٌ في سؤدد السيدة فاطمة رضي الله عنها.

المطلب الثالث: سيادة فاطمة رضي الله عنها بسبب كمالها:

لقد أحرزت السيدة البتول رضي الله عنها من السمات الجليلة والصفات النبيلة ما جعلها من البشر الذين بلغوا رتبة الكمال البشري، وقد قال ابن حجر: "وهب الله لفاطمة من الأحوال السنية والكمال ما لم يشاركها أحد من نساء هذه الامة مطلقا"[٧٢].

وهذا ثابتٌ لها من وجوه كثيرة سبقت الإشارة إلى عدد منها، فليس غريبًا أن يخصها أبوها ﷺ دون غيرها من حلائله وبناته بأوصاف السيادة في الدنيا والآخرة؛

ولأجل كمالها وتمامها بشَّرها رسول الله ﷺ بأنها سيدة نساء أهل الجنة، ومن باب أولى أن تكون سيدة نساء أهل الأرض.

وبسبب هذه المنقبة العظيمة -بأنها سيدة نساء أهل الجنة- اقتضى الأمر بطبيعة الحال والمآل- أن تكون فاطمة الزهراء متحصلةً على متطلبات الكمالات الدنيوية ولوازمها من العلم والإيمان، والأعمال الصالحة، والأخلاق الفاضلة، والتقوى والورع والزهد والعفة والكرم...ومعالي الأمور كلها، بل لا بد أن تبلغ بأفراد الكمالات وأنواعها المنتهى والغاية.

وقد زل أقوام في هذا الكمال المنقبي الجليل بين غالٍ فيها وجافٍ عنها، فنسبت طائفة منهم لها ما لا يقبل من الصفات والأحوال، فمن أمثلة الغلو:

- **الاستغاثة بها**، وأن الله فوض لفاطمة جميع الأشياء، فهي تحل ما تشاء، وتحرم ما تشاء.

وجعل ملك الجنة والنار بيدها، وأن الله خلق نور فاطمة ثم أودعه شجر الجنة، وأنها تكلمت في المهد، وأن تحدثها الملائكة، وأنها لا تحيض، ومجلس عقد زواجها في السماء الرابعة عند البيت المعمور، ومهرها شفاعة المذنبين[٧٣].

وفي مقابلها بخست طائفة حق السيدة فاطمة رضي الله عنها وقللت من مكانتها كالإسماعيلية الباطنية "فلا عناية لهم إطلاقًا بآل البيت، لا فاطمة ولا غيرها ولا يوجد عندَهم مَسألة واحِدَة صَحيحَة عن فاطمة رضي الله عنها لا في سيرتها، ولا في فضائلها، ولا في أحاديثها، وكذا آل البيت رضي الله عنهم"[٧٤]! وقد جاءت في أفراد كمالاتها رضي الله عنها في غير ما حديث، فمنها:

١.كمالها من جهة صبرها واحتسابها:

كانت السيدة البتول أطول بنات رسول الله صحبةً، وأكثرهن رفقةً له وعلى قدر هذا الفضل الرفيع فإنها ذاقت ألوان الحزن، وأشكال الأسى؛ ولذلك أوصاها رسول الله ﷺ، فقال: «فَاتَّقِي اللهَ وَاصْبِرِي، فَإِنَّهُ نِعْمَ السَّلَفُ أَنَا لَكِ»[٧٥]. فلا شك

أن وصاية رسول الله ﷺ لابنته البتول رضي الله عنها بالثبات والصبر وعدم الجزع على فراقه كان من أعظم ما شد من أزرها وثبتها، وكان حرصه ﷺ لتصبيرها ناشئًا من كونها -رضي الله عنها- أصيبت قبلُ بفقد أمها وأخويها وأختيها إلا أنها بقيت صامدة ملتزمة أمر ربها وقبلت مع كامل التسليم والرضا بأقدار الله المؤلمة التي أصابتها.

ولذا قال ابن حجر: "وأقوى ما يستدل به على تقديم فاطمة رضي الله عنها على غيرها من نساء عصرها ومن بعدهن...أنها رزئت بالنبي ﷺ دون غيرها من بناته، فإنهن متن في حياته، فكن في صحيفته، ومات هو في حياتها فكان في صحيفتها"(٧٦).

٢.ومنها: كمالها من جهة حفظها سر أبيها:

لما علم رسول الله ﷺ أن السيدة فاطمة عليها السلام قد بلغت الكمال النفسي، والعقلي، والوجداني، وأنها أهلٌ لأن يستودعها خبر السماء الذي فيه دنو أجله، وقرب وفاته، وأنه يوشك أن يلتحق بالرفيق الأعلى أجلسها إلى جنبه بعد أن رحب بها قائلًا: "مَرْحَبًا بِابْنَتِي ثم سارّها فبكت بكاء شديدًا، فلما رأى جزعها سارّها الثانية فضحكت"

وقد خصها رسول الله بهذا السر من دون نسائه؛ بسبب رباطة جأشها، وقوة عريكتها، وسعة صدرها؛ ولذلك سرعان ما استجمعت قلبها وتهلل وجهها ضاحكة بعد أن سارَّها الخير الثاني. قال ابن حجر: "وفيه أنَّه لا ينبغي إفشاء السِّرِّ إذا كانت فيه مضرَّة على المسرِّ؛ لأنَّ فاطمة لو أخبرتهنَّ لحزنَّ لذلك حزنًا شديدًا"(٧٧)، فيكون في ذلك ضررٌ فلذلك طلب منها أن تكتمه، وأن تتهيأ لحدوثه.

«ثم إن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها سألتها لَمَّا قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، مَا قَالَ لَكِ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ قَالَتْ: مَا كُنْتُ أُفْشِي عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ سِرَّهُ، قَالَتْ: فَلَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قُلْتُ: عَزَمْتُ عَلَيْكِ، بِمَا لِي عَلَيْكِ مِنَ الْحَقِّ، لَمَا حَدَّثْتِنِي مَا قَالَ لَكِ

رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَتْ: أَمَّا الْآنَ، فَنَعَمْ، أَمَّا حِينَ سَارَّنِي فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى، فَأَخْبَرَنِي أَنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُهُ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ سَنَةٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ، وَإِنَّهُ عَارَضَهُ الْآنَ مَرَّتَيْنِ، وَإِنِّي لَا أُرَى الْأَجَلَ إِلَّا قَدِ اقْتَرَبَ، فَاتَّقِي اللهَ وَاصْبِرِي، فَإِنَّهُ نِعْمَ السَّلَفُ أَنَا لَكِ "قَالَتْ: فَبَكَيْتُ بُكَائِي الَّذِي رَأَيْتِ، فَلَمَّا رَأَى جَزَعِي سَارَّنِي الثَّانِيَةَ فَقَالَ: يَا فَاطِمَةُ أَمَا تَرْضِيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ، أَوْ سَيِّدَةَ نِسَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، قَالَتْ: فَضَحِكْتُ ضَحِكِي الَّذِي رَأَيْتِ"» (٧٨).

وقد حفظت لأبيها السِّرَّ الذي استودعها إياه، فلم تُخبِرْ به أحدًا، مع تشوُّفِ نساء النبي ﷺ إلى معرفته، وكُنَّ حاضرات كلُّهُنَّ وقتَ الإسرار، وشاهدوا أمرًا غريبًا من بكائها ثم ضحكها في وقت قريب"(٧٩)، قال المناوي: "فيه دليل على فرط ذكائها، وكمال فطنتها، وقوّة فهمها، وعجيب إدراكها"(٨٠).

٣.كمالها من جهة المباهلة بها:

اتفق السابقون واللاحقون من المفسرين والمحدّثين أنّ السيدة فاطمة وزوجها عليا وولديها السبطين عليهم السلام هم المقصودون في قوله تعالى: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١] الذي نزل في مباهلة النبي ﷺ نصارى نجران؛ حيث دعا رسول الله ﷺ أصحاب الكساء للمباهلة بهم، وقال: " اللَّهُمَّ هؤُلاءِ أهلُ بَيْتِي"(٨١).

وقوله: (وَنِسَاءَنَا): لفظ عام يُراد به الخصوص والمقصود به فاطمة ولم يشاركها بهذا الخصوص أحد من نساء العالمين، وكأن رسول الله ﷺ لما بَهَلَ نصارى نجران بها وحدها دون بقية النساء أقامها مقام النيابة عن عموم نساء الأمة، فأغنى حضورها عن حضور غيرها؛ فكان اكتفاء النبي ﷺ بها دليلا على كمالها(٨٢).

٤.كمالها من جهة تطهيرها من الأنجاس والأرجاس:

عن عائشة قالت: « خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ غَدَاةً وَعَلَيْهِ مِرْطٌ مُرَحَّلٌ، مِنْ شَعْرٍ أَسْوَدَ، فَجَاءَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ فَأَدْخَلَهُ، ثُمَّ جَاءَ الْحُسَيْنُ فَدَخَلَ مَعَهُ، ثُمَّ جَاءَتْ فَاطِمَةُ فَأَدْخَلَهَا، ثُمَّ جَاءَ عَلِيٌّ فَأَدْخَلَهُ، ثُمَّ قَالَ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب:٣٣]» [٨٣].

٥.كمالها من جهة شبهها وسمتها بأبيها:

جاء في عائشة رضى الله عنها قالت: «فَأَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ تَمْشِي، مَا تُخْطِئُ مِشْيَتُهَا مِنْ مِشْيَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ شَيْئًا» [٨٤]، يعني: أن مشيتها تشبه مشية رسول الله مشية قوية مع سكينة ووقار، ولا غرو في ذلك فإنها الجهة المصطفوية وفرع الشجرة الزكية.

وأما حديث أبي موسى رضي الله عنه في قول رسول الله ﷺ: «كَمَلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ: إِلَّا آسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ» [٨٥]، فهذا الحديث وإن لم تذكر فيه فاطمة فإن وصف الكمال في حقها ثابت لها بما ورد في حقها من الأخبار والأحاديث التي تفيد ذلك، على أن المقصود بالنساء فيه هنا ممن كن في الأمم السابقة وهذا قول جمهور شراح الحديث [٨٦].

قال ابن كثير: "لفظه يقتضي حصر الكمال في النساء في مريم وآسية ولعل المراد بذلك في زمانهما فإن كلا منهما كفلت نبيًا في حال صغره فآسية كفلت موسى الكليم، ومريم كفلت ولدها عبد الله ورسوله، فلا ينفي كمال غيرهما في هذه الامة كخديجة وفاطمة" [٨٧].

المبحث الثالث: مقتضيات سيادة فاطمة بنت رسول الله

تقدم أن استحقاق الصابرة البتول وقرة عين الرسول لقب "السيادة" كان لأجل ما قام بها من معاني الكمال وأوصاف الجمال والجلال، وقد اقتضى هذا اللقب في حقها أحكامًا فقهية وتقريرات شرعية، بل ترتب عليها وثواب وعقاب!

المطلب الأول: حرمة ارتكاب ما يؤذيها:

لقد صرح رسول الله ﷺ بكراهته لكل ما يسوء السيدة فاطمة ويؤذيها فقال: «ابْنَتِي بَضْعَةٌ مِنِّي، يَرِيبُنِي مَا رَابَهَا وَيُؤْذِينِي مَا آذَاهَا»(٨٨)، وقال: «وإني أكرَهُ أنْ يسوءَها»(٨٩)، وجاء من حديث سويد بن غفلة مرسلًا: «وَلَا أُحِبُّ إِنْ تَحْزَنَ أَوْ تَجْزَعَ، فَقَالَ عَلِيٌّ عليه السلام: لَا آتِي شَيْئًا تَكْرَهُهُ» (٩٠)؛ ولذلك انتصر ابن القيم للرأي القائل باشتراط رسول الله على علي في عقد النكاح على فاطمة أن لا يؤذيها ولا يأتي ما يريبها، فقال: "ومعلوم قطعًا أنه ﷺ إنما زوجه فاطمة رضي الله عنها على أن لا يؤذيها ولا يريبها ولا يؤذي أباها ﷺ ولا يريبه، وإن لم يكن هذا مشترطا في صلب العقد، فإنه من المعلوم بالضرورة...وعلى هذا فسيدة نساء العالمين، وابنة سيد ولد آدم أجمعين أحق النساء بهذا، فلو شرطه علي في صلب العقد كان تأكيدًا لا تأسيسًا"(٩١).

وقال ابن حجر: "جزم ﷺ بأنه يؤذيه ما يؤذي فاطمة فكل من وقع منه في حق فاطمة شيء فتأذت به فهو يؤذي النبي ﷺ بشهادة هذا الخبر الصحيح، ولا شيء أعظم من إدخال الأذى عليها، وأذى النبي ﷺ حرام اتفاقًا قليله وكثيره،"(٩٢)؛ ولذلك ذهب السهلي(٩٣) والبيهقي(٩٤) إلى أن مَنْ سبَّ فاطمة الزهراء فقد كفر.

وقد أكدت رضي الله عنها على أن أباها رسولَ الله يغضب لما يغضبها، ويسوؤه ما يسوؤها، ويؤذيه ما يؤذيها، كما حكت هي نفسها لما بلغها أن عليًا رضي الله عنه همَّ بخطبة بنت أبي جهل، فقالت: «يَزْعُمُ قَوْمُكَ أَنَّكَ لاَ تَغْضَبُ لِبَنَاتِكَ»، فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ فَاطِمَةَ بَضْعَةٌ مِنِّي وَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ يَسُوءَهَا» (٩٥)؛ ولذلك رأى بعض العلماء أن علة منع رسول الله عليًا من الزواج على السيدة فاطمة هو بسبب ما يمكن أن يدخل عليها من الأذى وكسر الخاطر.

قال النووي: "إن ذلك يؤدي إلى أذى فاطمة فيتأذى حينئذ النبي ﷺ فيهلك من آذاه، فنهى عن ذلك لكمال شفقته على علي وعلى فاطمة"(٩٦).

وقال ابن التين: "أصح ما تُحمل عليه هذه القصة أن النبي ﷺ حرَّم على علي أن يجمع بين ابنته وبين ابنة أبي جهل؛ لأنه علل بأن ذلك يؤذيه، وأذيته حرام بالاتفاق. فهي له حلال لو لم تكن عنده فاطمة، وأما الجمع بينهما الذي يستلزم تأذي النبي ﷺ لتأذي فاطمة به فلا"(٩٧).

وقد قيل: إن رسول الله ﷺ راعى حق فاطمة في منع التعدد عليها جبرًا لخاطرها وتطييبًا لقلبها ما لم يراعه حتى في أزواجه؛ وذلك أنها "كانت إذ ذاك فاقدة من تركن إليه ممن يؤنسها ويزيل وحشتها من أم أو أخت، بخلاف أمهات المؤمنين، فإنّ كل واحدة منهن كانت ترجع إلى من يحصل لها معه ذلك، وزيادة عليه وهو زوجهنّ ﷺ لما كان عنده من الملاطفة وتطييب القلوب وجبر الخواطر، بحيث إن كل واحدة منهن ترضى منه لحسن خلقه وجميل خلقه جميع ما يصدر منه، بحيث لو وجد ما يخشى وجوده من الغيرة لزال عن قرب"(٩٨)، والحاصل: أن مراعاة الحد الأدنى من الحفاظ على شعورها ووجدانها أمرٌ معمول به، ومطلب مستحق لها.

المطلب الثاني: منع التزوج عليها:

يرى ابن القيم أنه ليس من المستحسن شرعًا ولا قدرًا ولا رتبةً زواج علي بن أبي طالب واستحداثه امرأةً أخرى على السيدة فاطمة البتول؛ بسبب ما اتصفت به من كمالات الطبع والأدب، وعراقة العنصر والنسب(٩٩)، ولعل هذا الذي حمل ابنَ حجر على القول بأن منع علي من الجمع بين فاطمة رضي الله عنها وبين بنت أبي جهل هو؛ لأجل ما تحلت به فاطمة عليها السلام من الخصائص التي لم تكن لغيرها، فقال: "والذي يظهر لي أنه لا يبعد أن يعد في خصائص النبي ﷺ أن لا يتزوج على بناته، ويحتمل أن يكون ذلك خاصا بفاطمة عليها السلام"(١٠٠).

ودليل منع التزويج عليها جاء من حديث المِسْوَرَ بْنَ مَخْرَمَةَ، قَالَ: «إِنَّ عَلِيًّا خَطَبَ بِنْتَ أَبِي جَهْلٍ فَسَمِعَتْ بِذَلِكَ، فَاطِمَةُ فَأَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَتْ: يَزْعُمُ قَوْمُكَ أَنَّكَ لاَ تَغْضَبُ لِبَنَاتِكَ، وَهَذَا عَلِيٌّ نَاكِحٌ بِنْتَ أَبِي جَهْلٍ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَسَمِعْتُهُ حِينَ تَشَهَّدَ، يَقُولُ: أَمَّا بَعْدُ أَنْكَحْتُ أَبَا العَاصِ بْنَ الرَّبِيعِ، فَحَدَّثَنِي وَصَدَقَنِي، وَإِنَّ فَاطِمَةَ بَضْعَةٌ مِنِّي وَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ يَسُوءَهَا، وَاللَّهِ لاَ تَجْتَمِعُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبِنْتُ عَدُوِّ اللَّهِ، عِنْدَ رَجُلٍ وَاحِدٍ» فَتَرَكَ عَلِيٌّ الخِطْبَةَ"[١٠١].

وقد تعددت أقوال العلماء في مسألة إذن النبي ﷺ الزواج على فاطمة ﷺ أو منعه لذلك بناء على تحرير علة الحكم والسبب الذي لأجله لم يأذن النبي ﷺ له بالزواج:

-فذهب ابن التين إلى أن علة النهي: الإيذاء، كما ذكر سابقا في المطلب الأول [١٠٢].

وقال ابن داود: حَرَّمَ اللَّهُ عَلَى عَلِيٍّ أَنْ يَنْكِحَ عَلَى فَاطِمَةَ حَيَاتَهَا "لِقَوْلِهِ ﷻ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧] فَلَمَّا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "لَا آذَنُ" لَمْ يَكُنْ يَحِلُّ لِعَلِيٍّ أَنْ يَنْكِحَ عَلَى فَاطِمَةَ إِلَّا أَنْ يَأْذَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. وَسَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ دَاوُدَ يَقُولُ: لَمَّا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:"«فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي يُرِيبُنِي مَا رَابَهَا وَيُؤْذِينِي مَا آذَاهَا»[١٠٣]"حَرَّمَ اللَّهُ عَلَى عَلِيٍّ أَنْ يَنْكِحَ عَلَى فَاطِمَةَ وَيُؤْذِيَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٥٣]"[١٠٤].

-وزاد على هذه العلة ابن حجر[١٠٥] والنووي[١٠٦] علة أخرى وهي خشية فتنتها في دينها بسبب غيرتها كما في رواية: «إِنَّ فَاطِمَةَ مِنِّي، وَأَنَا أَتَخَوَّفُ أَنْ تُفْتَنَ فِي دِينِهَا»[١٠٧]. قال ابن حجر: "يعني أنها لا تصبر على الغيرة فيقع منها في حق زوجها في حال الغضب ما لا يليق بحالها في الدين" ؛ لإن "الغيرة من الأمور التي جبلت عليها المرأة، فخشي النبي ﷺ أن تدفعها الغيرة لفعل ما لا يليق بحالها ومنزلتها، وهي سيدة نساء العالمين، "خاصة وأنها فقدت أمها، ثم أخواتها واحدة بعد واحدة، فلم

يبق لها من تستأنس به ممن يخفف عليها الأمر ممن تُفضي إليه بسرها إذا حصلت لها الغيرة"[١٠٨].

-وتلمس ابن القيم حكمة بديعة في معنى منع النبي ﷺ علي بن أبي طالب من هذا الزواج، فقال: "وهي أن المرأة مع زوجها في درجته تبع له، فإن كانت في نفسها ذات درجة عالية، وزوجها كذلك، كانت في درجة عالية بنفسها وبزوجها، وهذا شأن فاطمة وعلي -رضي الله عنهما- ولم يكن الله ﷻ ليجعل ابنة أبي جهل مع فاطمة -رضي الله عنها- في درجة واحدة لا بنفسها، ولا تبعًا، وبينهما من الفرق ما بينهما، فلم يكن نكاحها على سيدة نساء العالمين مستحسنًا لا شرعًا، ولا قدرًا، وقد أشار ﷺ إلى هذا بقوله: "والله لا تجتمعُ بنتُ رسول الله وبنتُ عدوِّ الله مكانًا واحدًا أبدًا"، فهذا إما أن يتناول درجة الآخر بلفظه، أو إشارته"[١٠٩].

ومع اختلاف العلماء بتحديد علة منع النبي ﷺ عليًا من الزواج على فاطمة -رضي الله عنها- إلا أنهم متفقون على رعاية مشاعرها، واعتبار رضاها، وعدم تكدير خاطرها، قال الحافظ ابن حجر: "السياق يشعر بأن ذلك مباحٌ لعلي، لكنه منعه النبي ﷺ رعاية لخاطر فاطمة"، وقال أيضًا: "لو أن فاطمة رضيت بذلك، لم يُمنع علي من التزويج بها، أو بغيرها"[١١٠]، حتى أن الحافظ ابن حبان البستي علق على حديث زواج علي من ابنة أبي جهل بقوله: "هذا الفعل لو فعله علي كان ذلك جائزًا، وإنما كرهه ﷺ تعظيمًا لفاطمة، لا تحريما لهذا الفعل"[١١١].

المطلب الثالث: ضرب المثل بها لتقرير الأحكام:

تتعدد أساليب تقرير المسائل والأحكام على حسب الحالة التي يُراد تقريرها فكلما كانت الحالة أعظم كان أسلوب تقريرها أعظم...ولذلك لما رفع إلى رسول الله ﷺ أمر المخزومية التي سرقت أهمَّ قومَها أن تعاقب، ورأوا أن يلتمسوا لها شفاعة عند أسامة بن زيد، الحِبّ ابن الحِبّ، ولما حدث أسامة رسول الله ﷺ في شأنها غضب وقال له: «أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ، ثُمَّ قَامَ، فَاخْتَطَبَ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّمَا

أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ، أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَايْمُ اللهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ ابْنَةَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا» (١١٢).

لقد رأى رسول الله أن أقوى صيغةً، وأعلى أسلوبًا يمكن أن يقدمه لإرساء قواعد العدل، وإقامة القسط هو أن يجعل من البضعة الطاهرة وسيدة نساء العالمين مثالًا لإثبات المطلوب، وبيانًا -في الوقت نفسه- لعلو مكانتها، وهي التي لا يتطرق إليها أدنى شك أو ريب، قال الحافظ ابن حجر: "فيه جواز ضرب المثل بالكبير القدر للمبالغة في الزجر عن الفعل"(١١٣).

إن من لطيف المعاني ودقيق الاستنباط أن يُجعل هذا الحديث في جملة فضائل السيدة الزهراء عليها السلام؛ لما فيه من إثبات مكانتها ورفعتها، واعتبارها علامة على تكريس مبدأ العدل والإنصاف.

ولا يتصور أن يقع منها هذا الفعل؛ لأنه منافٍ لكمالها، وجلالها، وسيادتها، وطهارتها، وفضلها... لأن رسول الله ضرب بها المثل على طريقة فرض المحال الذي ليس بمحال؛ لقصد إثبات المراد، وهذا أسلوب جارٍ على فنون لغة العرب في تقرير الأحكام، كما جاء في القرآن الكريم في غير موضع، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ [الحاقة: ٤٤-٤٦]؛ ليؤكد على صدق الرسول ﷺ، وأنه محالٌ عليه أن يأتي بشيء من عنده.

معناه: إن كان تحققه مستحيلًا واقعًا فإن تدير وقوعه وفرض حدوثه عقلًا ممكن؛ فيكون الخبر خرج مخرج التجويز العقلي؛ فمع استحالة أن تسرق فاطمة- لما تقرر لها من سابقة فضل...- إلا أنه يمكن أن نفرض أن يقع منها هذا الفعل مع عدم حدوثه في الواقع.

وقوله ﷺ: «وَايْمُ اللهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ ابْنَةَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا»(١١٤)، عبر عن تعذر قطع يد فاطمة لتعذر وقوع السرقة من منها رضي الله من خلال

استخدام حرف (لو) الذي إذا دخل على مثبتين صارا منفيين؛ فهو يدل على امتناع جواب الشرط لامتناع فعله،(١١٥).

قال الحافظ ابن حجر: "قال الليث عقب هذا الحديث: قد أعاذها الله من أن تسرق، وكل مسلم ينبغي له أن يقول هذا، ووقع للشافعي أنه لما ذكر هذا الحديث، قال: وإنما خص ﷺ فاطمة ابنته بالذكر؛ لأنها أعز أهله عنده، ولأنه لم يبق من بناته حينئذ غيرها، فأراد المبالغة في إثبات إقامة الحد على كل مكلَّف، وترك المحاباة في ذلك"(١١٦).

والحاصل: أن السيدة الزهراء؛ بسبب سيادتها صارت أنموذجا مكتملًا، ومقياسًا تامًا يضرب به المثل لتقرير القضايا، والمواقف، والأحكام.

الخاتمة:

وفيها أهم النتائج:

١.اختصت السيدة فاطمة بخصائص وصفات دون أخواتها بحديث البضعة، ووصفها بسيدة نساء العالمين، وانحصار ذرية النبي صلى الله عليه وسلم بها وبولدها، وحرمة الزواج عليها.

٢.ذهب عدد من العلماء إلى تفضيل السيدة فاطمة الزهراء على جميع نساء الدنيا والآخرة.

٣.تعددت مستويات سيادة فاطمة البتول بدءًا من سيادتها على نساء المؤمنين إلى سيادة نساء الأمة إلى سيادة نساء العالمين وصولًا إلى سيادة نساء أهل الجنة.

٤.كان من تمام سيادة الزهراء عليها السلام سيادتُها في أصلها، وفرعها، وذاتها وبلوغها الغاية القصوى في ذلك كله.

٥.كان لكمال سيادتها في ذاتها صورٌ وأحوال، منها كمالها بصبرها واحتسابها، ومنها حفظ سر أبيها، ومنها المباهلة بها، ومنها تطهيرها من الأنجاس.

٦.اقتضت سيادة فاطمة رضي الله عنها أحكامًا فقهية وتقريرات شرعية ترتب عليها حرمة إيذائها ومنع الزواج عليها.

٧.تبويبات المحدثين مهمة في الكشف عن المعاني المقصودة من الأحاديث؛ لأن فيها حلًا لما قد يطرأ من إشكال في فهم المعنى، كما في تبويبات البخاري، وابن حبان.

٨.مع اختلاف العلماء بتحديد علة منع النبي ﷺ عليًا من الزواج على فاطمة- رضي الله عنها- فإنهم متفقون على رعاية مشاعرها، واعتبار رضاها، وعدم تكدير خاطرها.

التوصيات:

يوصي الباحث:

١. بدراسة مصطلح "السيادة" عند أهل البيت خاصة فيمن ورد في حقه وصف "السيادة"، مثل ما ورد في "سيادة" الحسن والحسين.

٢.جمع الأحاديث الواردة في "السيادة"، وتخريجها، والحكم عليها، وبيان الأحكام المتعلقة بها.

الهوامش:

(١) نص على ذلك الذهبي بقوله: "فاطمة رضي الله عنها، وهي سيدة نساء هذه الأمة، كنيتها، فيما بلغنا: أم أبيها." الذهبي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد (المتوفى: ٧٤٨هـ)، **تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام**، المحقق: بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٣ م، (ط١)، ج٢، ص٢٩. وقال الحافظ ابن حجر: "فاطمة الزّهراء ...، كانت تكنى أمَّ أبيها"، ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، **الإصابة في تمييز الصحابة**، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ، (ط١)، ج٨، ص٢٦٢.

(٢) هناك خلاف في نسبة هذا الكتاب فكثيرون ينسبونه إلى العلامة المناوي وبعضهم ينسبه إلى محمد بن عبد الله الأكراوي القلقشندي الشافعي! كما فعل ذلك المحقق: محمد كاظم الموسوي في نشرة المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، ٢٠٠٦م، (ط١).

(٣) ينظر: ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء(المتوفى: ٣٩٥هـ)، **معجم مقاييس اللغة**، المحقق: عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر،(د،ت) ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م،ج٣، ص١٤. ابن منظور، **لسان العرب**، محمد بن مكرم بن على، (المتوفى: ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط٣،١٤١٤هـ، ج٣، ص٢٢٩ ، الزَّبيدي، محمّد بن محمّد بن عبدالرزّاق(المتوفى: ١٢٠٥هـ)، **تاج العروس من جواهر القاموس**، المحقق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، الكويت، ج٨،ص٢٢٤.

(٤) ينظر: الجياني، محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي ، (المتوفى: ٢٧٦هـ)، **الألفاظ المختلفة في المعاني المؤتلفة**، المحقق: د. محمد حسن عواد، دار الجيل، بيروت ، ١٤١١هـ، (ط١)، ص٢١٥.

(٥) قوله ﷺ: «إِنَّ فَاطِمَةَ بَضْعَةٌ مِنِّي وَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ يَسُوءَهَا»، البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب ذكر أصهار النبي ﷺ، حديث رقم(٣٧٢٩).

(٦) ابن حجر، **فتح الباري شرح الجامع الصحيح**،ج٧، ص١٠٥.

(٧) ابن القيم، محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) ، **زاد المعاد في هدي خير العباد** ، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ١٤١٥هـ، (ط٢٧)،ج١، ص١٠١.

(٨) المناوي، زين الدين محمد المدعو بعبدالرؤوف بن تاج العارفين(المتوفى: ١٠٣١هـ) ، **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر، ١٣٥٦هـ، (ط١)، ج٤،ص٤٢١. ووجه اختصاص حديث البضعة بفاطمة رضي الله عنها ما ورد في بعض طرق الحديث في كون علي بن أبي طالب أراد أن يخطب ابنة أبي جهل عليها، وكان هذا الأمر مما يؤذيها فجاء بناء على ذلك السبب.

(٩) كما في قوله ﷺ: «كَمَلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ»، البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري(المتوفى:٢٦٥هـ)، **الجامع الصحيح**، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ، (ط١)، كتاب أحاديث الأنبياء، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ﴾ [التحريم: ١١]، حديث رقم(٣٤١١).

(١٠) كما في قوله ﷺ: «خَيْرُ نِسَائِهَا مَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ، وَخَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةُ». البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب أحاديث الأنبياء، بَابُ ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ العَالَمِينَ، يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [آل عمران: ٤٣]، حديث رقم(٣٤٣٢).

(١١) كما في حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت لفاطمة بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَلَا أُبَشِّرُكِ أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: سَيِّدَاتُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَرْبَعٌ: «مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ» ابن حنبل، أحمد بن محمد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، **فضائل الصحابة**، المحقق: د. وصي الله محمد عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٣هـ، (ط١)، حديث رقم (١٣٣٦) ،الحاكم، محمد بن عبدالله النيسابوري (المتوفى: ٤٠٥هـ)، **المستدرك على الصحيحين**، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ، (ط١)،حديث رقم(٤٨٥٣). قال الذهبي: وهو على شرط البخاري ومسلم.

(١٢) الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبدالله (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، المحقق: علي عبدالباري ، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١٥ هـ، (ط١)، ج٢، ص١٤٢.

(١٣) البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب أحاديث الأنبياء، بَابُ ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ العَالَمِينَ، يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ [آل عمران: ٤٣]، حديث رقم(٣٤٣٢).

(١٤)انظر: القِنَّوجي، أبو الطيب، محمد صديق خان(المتوفى:١٣٠٧هـ)، **حسن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله في النسوة**، المحقق: مصطفى الخن- ومحي الدين مستو، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠١هـ، (ط٢)، ص٦٠.

(١٥) ابن حجر، أحمد بن علي أبو الفضل ، **فتح الباري شرح الجامع الصحيح**، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبدالباقي دار المعرفة ، بيروت، ١٣٧٩م، (د، ط)، ج٦، ص٤٧١.

(١٦) البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب أحاديث الأنبياء، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ﴾ [التحريم: ١١]، حديث رقم(٣٤١١)، مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها، حديث رقم (٢٤٣١).

(١٧) البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو (المتوفى: ٢٩٢هـ)، **مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار**، **لمحقق**: محفوظ الرحمن زين الله وآخرون، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، ١٩٨٨م، - ٢٠٠٩م، ط(١) ج٤، ص٢٥٥. قال ابن حجر: "قال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح.

(١٨) ولفظه: " عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «حَسْبُكَ مِنْ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَآسِيَةُ بِنْتُ مُزَاحِمٍ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ ﷺ»، الطبراني، سليمان بن أحمد (المتوفى: ٣٦٠هـ)، **المعجم الكبير**، المحقق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي

مكتبة ابن تيمية – القاهرة، (ط٢)، قال ابن حجر: "وهو من حديث حسن الإسناد"، ابن حجر، **فتح الباري شرح الجامع الصحيح**، ج٧، ص١٣٥.

(١٩) ابن حجر، **فتح الباري شرح الجامع الصحيح**، ج٧، ص١٣٥.

(٢٠) الن‌ووي، **شرح النووي على مسلم**"ج١٥، ص١٩٩

(٢١) نقله العلّامة الصالحي، **سبل الهدى والرشاد**، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م،(ط١)، ج١١، ص١٦٢-١٦٣. وقال: «هو في ضمن المسائل الّتي ذكرها السبكي في كتابه «الفتاوى الحلبيات» وهي مسائل سألها شيخ حلب شهاب الدين الأذرعي»

(٢٢) قال جلال الدين السيوطي: لم يتعرض أحد للتفضيل بين مريم وفاطمة، والذي نختاره بمقتضى الأدلة تفضيل فاطمة عليها، السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، الحاوي للفتاوي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م، ج٢، ص١١٩.

(٢٣) الصالحي، **سبل الهدى والرشاد**، ج١١، ص١٦٢-١٦٣.

(٢٤) المقريزي، أحمد بن علي(المتوفى: ٨٤٥هـ)، **إمتاع الأسماع بما للنبي ﷺ من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع**، المحقق: محمد النميسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٠هـ، (ط١)،ج١٠، ص٢٧٣.

(٢٥) السهيلي، عبدالرحمن بن عبد الله (المتوفى:٥٨١) **الروض الأنف في تفسير السيرة النبوة**، دار المعرفة , عناية ، طه عبدالرؤوف، ١٩٧٨م، (ط١)،ج٣، ص٢٨٣.

(٢٦) قال: "وأقوى ما يستدل به على تقديم فاطمة على غيرها من نساء عصرها ومن بعدهن"، ابن حجر، أحمد بن علي أبو الفضل ، **فتح الباري شرح الجامع الصحيح**، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي دار المعرفة ، بيروت، ١٣٧٩م، (د، ط)، ج٧، ص١٠٥.

(٢٧) قال: "والذي أميل إليه- أن فاطمة البتول أفضل النساء المتقدمات والمتأخرات من حيث إنها بضعة رسول الله ﷺ بل ومن حيثيات أخر أيضا"، الآلوسي، شهاب الدين محمود بن عبدالله (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، المحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، ، (ط١)، ١٤١٥ هـ ج٢، ص١٤٩.

(٢٨) ينظر: الزرقاني، محمد بن عبدالباقي(المتوفى: ١١٢٢هـ)، **شرح المواهب اللدنية بالمنح المحمدية**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ، (ط١)،ج٢، ص٣٥٧.

(٢٩) ابن حجر، أحمد بن علي أبو الفضل ، **فتح الباري شرح الجامع الصحيح**، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبدالباقي دار المعرفة ، بيروت، ١٣٧٩م، (د، ط)، ج٧، ص٥١٩.

(٣٠) وقد ذهب العلّامة الصالحي الشامي إلى هذا المعنى. ينظر: الصالحي، **سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد**، ج١١، ص١٦١.

(٣١) ابن حزم الظاهري، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، أبو محمد علي بن أحمد(المتوفى: ٤٥٦هـ)، مكتبة الخانجي ، القاهرة، (د، ط)، ج٤، ص١٠٣. بتصرف يسير

(٣٢) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب (المتوفى: ٧٥١هـ)، **بدائع الفوائد**، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، د،ط، ج٣، ص١٦٠.

(٣٣) ابن قيم الجوزية، **بدائع الفوائد**، ج٣، ص١٦١.

(٣٤) المناوي، زين الدين محمد (المتوفى: ١٠٣١هـ)، **اتحاف السائل بما لفاطمة من المناقب والفضائل**، دراسة وتحقيق وتعليق: عبداللطيف عاشور، مكتبة القرآن، القاهرة، (د، ط)، ص٨٥.

(٣٥) **الجامع الصحيح**، كتاب أحاديث الأنبياء، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ﴾ [التحريم:١١]، حديث رقم(٣٤١١)، مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها، حديث رقم (٢٤٣١).

(٣٦) وقد أورد المقريزي قول القاضي عياض في معرض تفضيله لفاطمة عليها السلام على عائشة رضي الله عنها، المقريزي، أحمد بن علي(المتوفى: ٨٤٥هـ)، **إمتاع الأسماع بما للنبي ﷺ من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع**، المحقق: محمد النميسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٠هـ، (ط١)،ج١٠، ص٢٧٣.

(٣٧) السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (المتوفى: ٩١١هـ)، **الحاوي للفتاوي**، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤ م ، (د، ط)، ج٢، ص٩٩.

(٣٨) الصالحي، **سبل الهدى والرشاد**، ج١١، ص١٦٢-١٦٣.

(٣٩) ابن حجر، **فتح الباري شرح الجامع الصحيح**، ج٧، ص٥١٩.

(٤٠) نقل كلامه المناوي في كتاب، **اتحاف السائل بما لفاطمة من المناقب والفضائل**، ص٨٥.

(٤١) المقصود "بالناس" هنا زوجاته فقط دون غيرهن من النساء، ولذلك أشار ابن حبان أنه وقع لبعضهم الوهم لمّا حمل هذا الحديث على عموم النساء، فقال ابن حبان: "أذكر الخبر الدال على أن مخرج هذا السؤال كان عن أهله دون سائر النساء من فاطمة وغيرها" . فالمعنى المراد فضل عائشة رضي الله عنها بالنسبة لبقية زوجاته ﷺ من غير دخول بناته وعماته وبقية نساء آل بيته فقال ابن حبان: أذكر الخبر الدال على أن مخرج هذا السؤال كان عن أهله دون سائر النساء من فاطمة وغيرها.

(٤٢) ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، **صحيح ابن حبان**، كتاب مناقب الصحابة، ذكر خبر وهم في تأويله من لم يحكم صناعة الحديث، المحقق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت، ١٩٩٣، (ط٢)، ج١٦ ص٤٠ ، والحديث صحيح.

(٤٣) الكوراني، أحمد بن إسماعيل (المتوفى: ٨٩٣ هـ)، **الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري**، المحقق: الشيخ أحمد عزو عناية، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ١٤٢٩ هـ ،(ط١)، ج٦، ص٥٠٠.

(٤٤) الكتاني، أبو عبدالله محمد بن جعفر (المتوفى: ١٣٤٥هـ) ، **نظم المتناثر من الحديث المتواتر**، المحقق: شرف حجازي، دار الكتب السلفية، مصر، (ط١)، ص١٩٥ رقم(٢٣٤).

(٤٥) البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب الاستئذان، باب من ناجى بين يدي الناس، ومن لم يخبر بسر صاحبه، فإذا مات أخبر به، حديث رقم(٦٢٨٥)، مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب فضائل الصحابة رضوان الله عليهم، باب فضائل فاطمة بنت النبي عليها الصلاة والسلام، حديث رقم (٢٤٥٠)، وهذا لفظ مسلم.

(٤٦) البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب الاستئذان، باب من ناجى بين يدي الناس، ومن لم يخبر بسر صاحبه، فإذا مات أخبر به، حديث رقم(٦٢٨٥)، مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب فضائل الصحابة رضوان الله عليهم، باب فضائل فاطمة بنت النبي عليها الصلاة والسلام، حديث رقم (٢٤٥٠)، وهذا لفظ مسلم

(٤٧) النسائي، أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب (المتوفى: ٣٠٣هـ)، **السنن الكبرى**، حققه: حسن عبدالمنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، بيروت،١٤٢١هـ،(ط١)، حديث رقم (٨٤٦٢)،ج٧، ص٨٥٥. والحديث صحيح.

(٤٨) الطيالسي، **مسند أبي داود الطيالسي**، حديث رقم(١٤٧٠)، ج٣، ص٥،الحاكم، **المستدرك**، حديث رقم (٤٧٤٠)، ج٣،ص١٧٠. وقال: هَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ، ولم يخرجاه.

(٤٩) البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب المناقب، باب علامات النبوة، (٣٦٢٤)، مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب فضائل الصحابة رضوان الله عليهم، باب فضائل فاطمة بنت النبي عليها الصلاة والسلام، حديث رقم (٢٤٥٠).

(٥٠) أخرجه البخاري معلقاً، **الجامع الصحيح**، كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب فاطمة عليها السلام ، ج٥،ص٢٩.

(٥١) مسلم ، **صحيح مسلم**، كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي ﷺ، وتسليم الحجر عليه قبل النبوة، حديث رقم(٢٢٧٦).

(٥٢) ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ج٣، ص١٤.

(٥٣) النووي، محيي الدين يحيى بن شرف (المتوفى: ٦٧٦هـ) ، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٣٦٢هـ، (ط١) ، ج١٥، ص٣٧.

(٥٤) البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب فضائل اصحاب النبي، باب مناقب قرابة رسول الله ، حديث رقم (٣٧١٣) مسلم ، **صحيح مسلم**، كتاب الفضائل، باب تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق، حديث رقم (٢٢٧٨).

(٥٥) الطيالسي، سليمان بن داود بن الجارود (المتوفى: ٢٠٤هـ)، **مسند أبي داود الطيالسي**، المحقق: محمد بن عبد المحسن، دار هجر – مصر، ١٤١٩ هـ ، (ط١)، حديث رقم (٢٨٣٤)، ج٤، ص٤٣٠.

(٥٦) العز، عبدالعزيز بن عبد السلام السلمي، **منية السول في تفضيل الرسول ﷺ**، تحقيق: صلاح الدين المنجد ، ١٩٨١م، (ط١)، ص ١٨.

(٥٧) ابن حنبل، **فضائل الصحابة**، المحقق: حديث رقم (١٣٣٦) ،الحاكم، **المستدرك على الصحيحين**، حديث رقم(٤٨٥٣). قال الذهبي: وهو على شرط البخاري ومسلم.

(٥٨) ابن حجر، **فتح الباري**، ج٧، ص١٧١.

(٥٩) البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب الصلح، باب ابني هذا سيد، حديث رقم(٢٧٠٤).

(٦٠) الألوسي، **روح المعاني**، ج١٣، ص٣١٥.

(٦١) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد(المتوفى: ٧٥١هـ)، **جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام**، المحقق: شعيب وعبد القادر الأرناؤوط، دار العروبة، الكويت، (ط٢)،.١٤٠٧هـ، ص٢٩٩-٣٠١.

(٦٢) السخاوي، شمس الدين أبو عبدالرحمن، **القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع**، تحقيق: بشر عيون، مكتبة المؤيد، ١٤٠٨هـ، (د، ط)، ص١٢٠-١٢١

(٦٣) السهيلي، عبدالرحمن بن عبدالله (المتوفى:٥٨١) **الروض الأنف في تفسير السيرة النبوة**، دار المعرفة , عناية ، طه عبدالرؤوف، ١٩٧٨م، (ط١)،ج٣، ص٢٨٣.

(٦٤) الكوراني، أحمد بن إسماعيل بن عثمان (المتوفى: ٨٩٣هـ)، **الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري**، المحقق: الشيخ أحمد عزو عناية، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان،١٤٢٩ هـ، (ط١)، ج٦، ص٤٩٩.

(٦٥) نقله الألوسي ، **روح المعاني**، ج٢٦، ص١٦٥.

(٦٦) ابن حنبل، أحمد بن محمد(المتوفى: ٢٤١هـ) ، **المسند**، لمحقق: شعيب الأرناؤوط - عادل مرشد، وآخرون مؤسسة الرسالة،١٤٢١هـ، (ط١)، حديث رقم (١٠٩٩٩)، ج١٧، ص٣١.والحديث صحيح

(٦٧) المباركفوري، ، **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي**، ج١٠،ص١٧٨.

(٦٨) المناوي، **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، ج٧،ص١٩.

(٦٩) ابن حنبل، **المسند**، حديث رقم(١٨٤٠٦)، ج٣٠، ص٣٥٥. والحديث حسن.

(٧٠) البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب الصلح، بابا ابني هذا سيد، حديث رقم(٢٧٠٤).

(٧١) ابن حجر، **فتح الباري**، ج١٣،ص٦٦.

(٧٢) ابن حجر، **فتح الباري**، ج٧، ص٤٧٧.

(٧٣) ينظر: القمني، عباس، **بيت الأحزان في ذكر أحوال سيدة نساء العالمين فاطمة**، دار الحكمة، إيران، ١٤١١هـ، (ط١)، مجلسي، محمد باقر بن محمد تقي، **بحار الأنوار**، مؤسسة الوفاء، بيروت-لبنان،١٤٠٣هـ، (ط٣)، الطوسي، **الأمالي**، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة،١٤١٤هـ،(ط١). القزويني، محمد كاظم، "**فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد**"، مكتبة بصيرتي، قم، ١٤١٤هـ، المسعودي، محمد فاضل، **الأسرار الفاطمية**، تحقيق: السيد عادل العلوي، مطبعة أمير-قم، ١٤٢٠هـ،(ط٢).

(٧٤) المديهش، إبراهيم بن عبدالله بن عبدالرحمن، **فاطمة بنت النبي ﷺ، سيرتها، فضائلها، مسندها - رضي الله عنها -**. دار الآل والصحب الوقفية، الرياض، ١٤٤٤٠هـ، (ط١)،ج١،ص٤٨٣.

(٧٥) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب فضائل الصحابة رضوان الله عليهم، باب فضائل فاطمة بنت النبي عليها الصلاة والسلام، حديث رقم (٢٤٥٠).

(٧٦) ابن حجر، **فتح الباري**، ج٧، ص١٠٥.

(٧٧) ابن حجر، **فتح الباري**، ج١١، ص٨٠.

(٧٨) البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب الاستئذان، باب من ناجى بين يدي الناس، ومن لم يخبر بسر صاحبه، فإذا مات أخبر به، حديث رقم(٦٢٨٥)، مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب فضائل الصحابة رضوان الله عليهم، باب فضائل فاطمة بنت النبي عليها الصلاة والسلام، حديث رقم (٢٤٥٠)، وهذا لفظ مسلم.

(٧٩) المديهش، **فاطمة بنت النبي ﷺ**، ج١،ص١٤١.

(٨٠) المناوي، **اتحاف السائل بما لفاطمة من المناقب والفضائل** ، ص٣٠.

(٨١) ابن حنبل، **المسند**، ج٢٨، ص١٩٨، حديث(١٦٩٨٩)، حديث صحيح. محمد بن مصعب- وهو القرقساني- حسن الحديث في المتابعات، وقد توبع، وباقي رجال الإسناد ثقات رجال الشيخين غير شداد أبي عمار، فقد أخرج له مسلم، والبخاري في "الأدب المفرد"، وهو ثقة. = وفيه: محمد بن مصعب وهو ضعيف الحديث سيئ الحفظ، رجل صالح في نفسه.

(٨٢) ينظر: السمعاني، منصور بن محمد (المتوفى: ٤٨٩هـ)، **تفسير القرآن**، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض – السعودية، ١٤١٨هـ،(ط١)، ج١، ص٣٢٧. بتصرف

(٨٣) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب فضائل الصحابة رضوان الله عليهم، باب فضائل أهل بيت النبي ﷺ، حديث رقم (٢٤٢٤).

(٨٤) البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب المناقب، باب علامات النبوة، (٣٦٢٤)، مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب فضائل الصحابة رضوان الله عليهم، باب فضائل فاطمة بنت النبي عليها الصلاة والسلام، حديث رقم (٢٤٥٠).

(٨٥) **الجامع الصحيح**، كتاب أحاديث الأنبياء، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ﴾ [التحريم: ١١]، حديث رقم(٣٤١١)، مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها، حديث رقم (٢٤٣١).

(٨٦) قال ذلك جماعة من العلماء، منهم: القرطبي: "ولم يتعرض النبي ﷺفي هذا الحديث لأحد من نساء زمانه، إلا لعائشة خاصة"، القرطبي، أبو العباس أحمد بن عمر (٦٥٦ هـ)، **المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم**، حققه: محيي الدين ميستو

وآخرون، دار ابن كثير، دمشق – بيروت،١٤١٧ هـ ، (ط١)، ج٢٠، ص٧٣، وقال القاضي عياض: "وليس يشعر الحديث بأنه لم يكمل، ولا يكمل، ممن يكون في هذه الأمة غيرهما" "إكمال المعلم، ج٧،ص٤٤٠. وقال ابن تيمية: "يَعْنِي مِنْ نِسَاءِ الْأُمَمِ قَبْلَنَا"، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم(المتوفى: ٧٢٨هـ)، **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**، تحقيق: علي بن حسن وآخرون، دار العاصمة، السعودية،١٤١٩هـ، (ط٢)، ج٢، ص٣٥٠، وقال ابن حجر: " فَالْمُرَادُ : مَنْ تقدمَ زمانَه ﷺ، وَلَمْ يَتَعَرَّضْ لِأَحَدٍ مِنْ نِسَاءِ زَمَانِهِ" انتهى من ابن حجر، **فتح الباري** ،ج٦، ص٤٤٧، وينظر النووي، **شرح النووي على مسلم**"ج١٥، ص١٩٩، وقال السيوطي: "(كمل من الرِّجَال كثير) أَي من الْأُمَم السَّابِقَة ، (وَلم يكمل من النِّسَاء إلا امْرَأَتَانِ) وَلَا يلْزم مِنْهُ انه لم يكمل من أمته ﷺ أحد من النِّسَاء، بل لهَذِهِ الْأمة مزية على غَيرهَا ". السيوطي، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) ، **شرح سنن ابن ماجه** ،ج١، ص٢٣٦، وقال الصنعاني: "وليس في الاقتصار عليهما حصر للكمال فيهما". الصنعاني، محمد بن إسماعيل (المتوفى: ١١٨٢هـ)، **التنوير شرح الجامع الصغير**، المحقق: د. محمَّد إسحاق، مكتبة دار السلام، الرياض،١٤٣٢هـ، (د، ط)، ج٨، ص٢٣٩.

(٨٧) ابن كثير، إسماعيل بن عمر(المتوفى: ٧٧٤هـ) ، **البداية والنهاية**، المحقق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي١٤٠٨هـ، (ط١)، ج٢،ص٧٣.

(٨٨) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب فضائل الصحابة رضوان الله عليهم، باب فضائل فاطمة بنت النبي عليها الصلاة والسلام، حديث رقم (٢٤٤٩).

(٨٩) البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب ذكر أصهار النبي ﷺ، حديث رقم(٣٧٢٩).

(٩٠) الحاكم، **المستدرك على الصحيحين**، ج٣،ص١٧٣. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه بهذه السياقة، وقال الذهبي في (التلخيص): مرسل قوي

(٩١) ابن القيم، **زاد المعاد**،ج٥،ص١٠٧.

(٩٢) ابن حجر، **فتح الباري** ، ج٩، ص٣٢٩.

(٩٣) السهيلي, **الروض الأنف في تفسير السيرة النبوة**، ج ٣، ص٢٨٣.

(٩٤) نقله عنه العيني، **عمدة القاري**، ج١٦، ص٢٤٩.

(٩٥) البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب ذكر أصهار النبي ﷺ، منهم أبو العاص بن الربيع، حديث رقم(٣٧٢٩).

(٩٦) النووي، **شرح النووي على مسلم**، ج١٦، ص٣.

(٩٧) ابن حجر، **فتح الباري**، ج٩، ص٣٢٨.

(٩٨) الزرقاني، **المواهب اللدنية بالمنح المحمدية**، ج ٢، ص ٣٦٥

(٩٩) ابن القيم، **زاد المعاد**،ج٥،ص١٠٨.

(١٠٠) ابن حجر، **فتح الباري**، ج٩، ص٣٢٩.

(١٠١) البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب ذكر أصهار النبي ﷺ، منهم أبو العاص بن الربيع، حديث رقم(٣٧٢٩)، مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب فضائل الصحابة رضوان الله عليهم، باب فضائل فاطمة بنت النبي عليها الصلاة والسلام، حديث رقم (٢٤٤٩).

(١٠٢) ابن حجر، **فتح الباري**، ج٩، ص٣٢٩.

(١٠٣) البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب النكاح، باب ذب الرجل عن ابنته في الغيرة والإنصاف، حديث رقم(٥٢٣٠)، مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب فضائل الصحابة رضوان الله عليهم، باب فضائل فاطمة بنت النبي عليها الصلاة والسلام، حديث رقم (٢٤٤٩).

(١٠٤) ملا على القاري، علي بن محمد، أبو الحسن (المتوفى: ١٠١٤هـ)، **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، دار الفكر، بيروت – لبنان، ٢٠٠٣، (ط١)، ج٩، ص٣٩٦٦.

(١٠٥) ابن حجر، **فتح الباري**، ج٩، ص٣٢٩.

(١٠٦) النووي، **شرح النووي على مسلم**، ج١٥،ص٢٢٢.

(١٠٧) البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب فرض الخمس، باب ما ذكر من درع النبي ﷺ، حديث رقم(٣١١٠)، مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب فضائل الصحابة رضوان الله عليهم، باب فضائل فاطمة بنت النبي عليها الصلاة والسلام، حديث رقم (٢٤٤٩).

(١٠٨) المباركفوري، **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي** ج١٠، ص٢٥٠.

(١٠٩) ابن القيم، **زاد المعاد**، ج٥،ص١١٩.

(١١٠) ابن حجر، **فتح الباري**، ج٩، ص٣٢٩.

(١١١) ابن حبان، **صحيح ابن حبان**، ج١٥، ص٤٠٧.

(١١٢) البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب الأنبياء، باب { أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم }، حديث رقم (٣٢٨٨)، ومسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الحدود، باب قطع السارق الشريف وغيره، رقم الحديث (١٦٨٨).

(١١٣) ابن حجر، **فتح الباري**، ج٩، ص٣٢٩.

(١١٤) سبق تخريجه ص١٩.

(١١٥) السَّراج، محمد علي، **اللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب النحو والصرف والبلاغة والعروض واللغة والمثل**، مراجعة: خير الدين شمسي باشا، دار الفكر – دمشق، ١٤٠٣ هـ ،(ط١)، ص١٤٠. **المعجم الوسيط**

المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى وآخرون، دار الدعوة، ج٢، ص٨٤٣.

(١١٦) ابن حجر، **فتح الباري**، ج١٢، ص٩٥.